مأســاة منسيـة بلا خاتمـة

مركب زوارة الغارق 24 آب/أغسطس 2014

AFOMAS

عـائلات المفقودين
على طريـق اللجوء

إعداد:

الكاتبة الرئيسية:
بتول كربجها

الكاتب الثانوي:
أحمد الطالب

مراجعة:
شغف حويك

تصميم:
تيما برّو

ترجمة:
هاديا الطالب

المنظمة:
رابطة عائلات المفقودين على طريق اللجوء (AFOMAS)

يدعم من:
أُتيح إصدار هذا التقرير بفضل دعم منظمة Impunity Watch.

الآراء الواردة في هذا المنشور لا تعكس بالضرورة آراء منظمة Impunity Watch.

عن رابطة عائلات المفقودين على طريق اللجوء:
رابطة عائلات المفقودين على طريق اللجوء هي رابطة تضم عائلات سورية فقدت أحباءها على طرق اللجوء والهجرة. منذ عام 2019، كانت تسعى العائلات مع المركز السوري للإعلام وحرية التعبير (SCM) لبناء جهود منظمة ومستدامة. وبعد سنوات من التنسيق والمناصرة غير الرسميين، تم إطلاق الرابطة رسمياً في جنيف في آذار/ مارس 2025 وتسجيلها كرابطة في فرنسا. تسعى الرابطة لدعم العائلات وتسهيل تبادل المعلومات مع المؤسسات المعنية والدفاع عن الحقيقة والعدالة من أجل المفقودين.

بتول كربجها صحفية سورية ومخرجة أفلام وثائقية عمرها 34 عاماً تقيم حالياً في هولندا. وهي رئيسة رابطة عائلات المفقودين على طريق اللجوء (AFOMAS).
أحمد الطالب عضوٌ في رابطة عائلات المفقودين على طريق اللجوء (AFOMAS)، وهو خريج كلية الأحياء ومتخصص في علوم الطب الشرعي المتعلقة بالبحث عن المفقودين.
شغف حويك حاصلة على درجة الدكتوراه في علم الاجتماع الحضري من جامعة برلين للتكنولوجيا وهي متخصصة في أبحاث الهجرة وسياسات اللجوء واستراتيجيات التنوع والإنصاف والشمولية.
يشار إلى رابطة عائلات المفقودين على طريق اللجوء في هذا التقرير في الفقرات التالية باسم: الرابطة

موجز تنفيذي

في 24 آب/أغسطس 2014، وخلال عملية إنقاذ، انقلب مركب صيد شديد الاكتظاظ على متنه أكثر من 550 شخصاً قبالة ساحل زوارة الليبي. نجا 352 راكباً بينما غرق آخرون كثر. انتشلت جثث في إيطاليا وتونس وليبيا، بيد أن عدداً كبيراً من الأشخاص لا يزال في عداد المفقودين بعد أكثر من عقد من الزمن.

يوثق هذا التقرير غرق مركب زوارة وتداعياته من وجهة نظر عائلات المفقودين. فهو سرد مبني على الشهادات وتقوده العائلات لتتبع رحلة البحث الطويلة عن الحقيقة عبر الحدود والمؤسسات وسنوات يسودها الغموض وانعدام اليقين. يعيد هذا التقرير بناء ما هو معروف عن الحادث كما يتناول سبب ترك عديد من الأسئلة دون إجابة وذلك استناداً إلى شهادات الناجين وروايات العائلات والمعلومات مفتوحة المصدر والتعامل مع السلطات والمنظمات الإنسانية.

تكشف النتائج عن تكرار الإخفاقات المنهجية عبر إيطاليا وتونس وليبيا؛ بما في ذلك الاستجابات المؤسسية المفككة وانعدام التنسيق عبر الحدود وغياب نظم المعلومات المركزية ومحدودية الجهود الرامية للتعرف على هوية المتوفين أو للتواصل مع ذويهم. كما تم دفن الجثث في قبور مجهولة أو يصعب الوصول إليها، وغالباً دون فحص طبي شرعي مناسب، في الوقت الذي طُلب فيه مراراً وتكراراً من العائلات تقديم معلومات إلا أنها نادراً ما تلقت أي متابعة أو دعم.

وفي ظل غياب الآليات الرسمية، نظمت هذه العائلات نفسها. فمن خلال الشبكات غير الرسمية ولاحقاً عن طريق رابطة عائلات المفقودين على طريق اللجوء (AFOMAS)، أصبحت العائلات الجهات الفاعلة الرئيسية في توثيق الأسماء والحفاظ على الذاكرة والإصرار على حق المعرفة. يعيد هذا التقرير الأسماء والوجوه وتاريخ وقصص العائلات إلى صميم عملية التوثيق متحدياً بذلك سرديات تختزل المهاجرين المفقودين بمجرد إحصائيات.

كما يثير التقرير تساؤلات عالقة إزاء مصير الأشخاص الذين ما زالوا في عداد المفقودين، بما في ذلك احتمالية وجود بعض الضحايا داخل المركب الغارق الذي لم يتم انتشاله، والذي قد يشكل مقبرة جماعية. وعلى الرغم من تحديد موقع حطام المركب، لم يبذل أي جهد مؤسسي لتقييمه أو التحقيق فيه.

يختتم التقرير بالتشديد على التزامات الدول بموجب القانون البحري الدولي والقانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الإنساني بإنقاذ المفقودين والبحث عنهم وتحديد هوياتهم واستجلاء مصيرهم والتواصل مع أسرهم بشفافية. تستوجب معالجة إرث مركب زوارة الغارق إجراءات منسقة لضمان الحقيقة والكرامة والمساءلة عن المفقودين وأولئك الذين تركوا وراءهم.

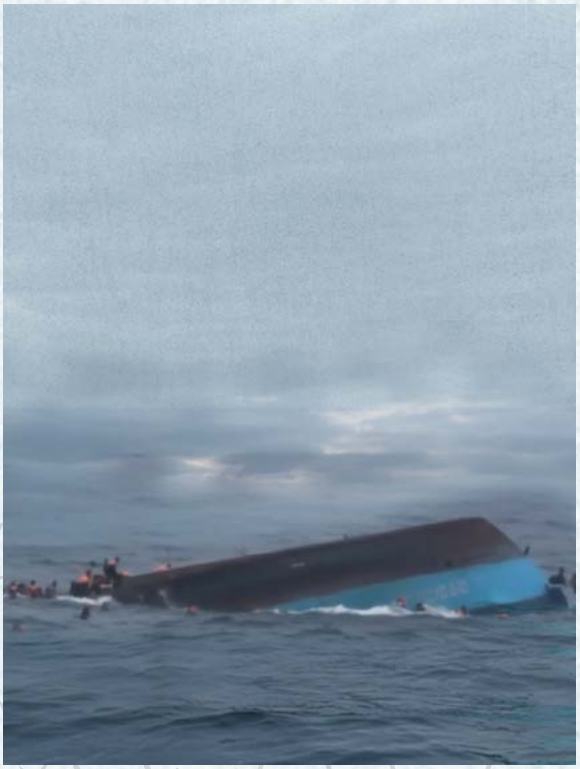

فهرس المحتويات

تمهيد	3
معلومات أساسية	5
مقدّمة	8
غرق المركب: ما الذي حدث في 24 آب/أغسطس 2014؟	10
روايات العائلات	12
البحث عبر الحدود	15
1.1 الاستجابة الإيطالية	15
1.2 تونس: قبور بلا شواهد	17
1.3 البحث في ليبيا	19
المفقودون: وجوه وأسماء	20
قائمة بالأشخاص المفقودين والذين حُددت هوياتهم	21
سؤال ينتظر إجابة: أين الضحايا الباقون؟	22
تحديد موقع المركب الغارق	22
تحديات واجهتها عائلات مركب زوارة الغارق	23
خاتمة	26
المساءلة والالتزامات القانونية	27

تمهيد

بقراءة هذا التقرير، سترتبط مباشرة بأبطال قصصنا وعائلات المفقودين وستستمع لما يمرون به في بحثهم عن أحبائهم. يُعد هذا التقرير بمثابة رواية من المصدر مباشرة كتبتها العائلات عن كثب. ستصادفون فيه نوعاً من البحث الذي لا يبدو بحثاً على الإطلاق؛ وكأنك ترى أباً يكرر الأسماء ذاتها للمسؤولين ذاتهم، وكأن الأسماء وحدها قادرة على سحب أحدهم من حافة البحر. تبدو العائلات وكأنها تمشي على الشاطئ متوسلة إجابات من الأفق.

لا نملك خارطة لهذه الخسارة ولا حتى قصة رسمية تفسر هذا الصمت. لا نملك في كثير من الأحيان إلا يقيناً واحداً وعبارات بسيطة لا تطاق: "رحلت أختي." "لن أستطيع العثور على أخي بعد الآن." "أريد رؤيتهم مجدداً والتحدث إليهم مجدداً، أريد أن أعانقهم مرة أخرى، أود أن أقول لأطفالي أني أحبهم."

هذا التقرير موجود لأن هذه العبارات ليست نهاية القصة. بل هي بداية نضالنا الطويل: نضال المعرفة. يتحدث التقرير بأصوات العائلات، فرادى أحياناً وجماعة أحياناً أخرى. فالبحث عن المفقودين يُعاش فردياً وجماعياً على حد سواء.

كثير ممن صعدوا على متن قارب كهذا كانوا قد أُجبروا على الخروج من بلدانهم بفعل الدكتاتورية والحرب والموت والاعتقال والتعذيب.

فحملوا في أجسادهم الخوف والأمل في اتجاه واحد نحو الحلم بأن تتغير الحياة أخيراً على الضفة الأخرى. ولكن تآمر العالم والظروف عليهم. فأُغلقت الحدود وضُيّقت الممرات وحتى البحر وقف تماماً غير مكترث في وجه هذا الحلم.

لا تنتهي رحلتنا برحيل القارب. حيث تتحول لوعتنا إلى هجرة ثانية: من مكتب إلى مكتب ومن خط ساخن لآخر ومن سلطة إلى أخرى. فنبحث ونسأل ونقدم أسماء ونرسل صوراً ونترجم وثائق ونجري اتصالات عبر مناطق زمنية مختلفة وننتظر. ننتظر قبالة البحر لساعات وأيام وأشهر؛ ننتظر إشارة أو تفصيلاً أو أي شيء قد يقلب الشك إلى حقيقة والحقيقة إلى نوع من السلام.

هذا التقرير موجود لأن سوسن ورامي وعايدة وبلال وهدى وخالد وماريا[1] ما زالوا مفقودين ولأننا ما زلنا نبحث عنهم ولن نتوقف أبداً.

قصصهم ليست فردية معزولة. فقد فُقد آلاف السوريين من طالبي اللجوء في البحر أو على اليابسة أو في أرجاء بلدان عدة. ينتمون لمدن وخلفيات ومعتقدات متنوعة. إلا أنهم مشتركون في أمرين اثنين: فجميعهم مفقودون وكذلك محبوبون من قبل عائلاتهم التي تواصل بحثها عنهم حتى عندما يقول لها العالم، صمتاً أو جهراً، أن تتخطى الأمر.

(1) الأسماء المذكورة في هذه الفقرة هي أسماء رمزية لأشخاص مفقودين.

يُعتبر هذا التقرير

» نداء إلى عائلات طالبي اللجوء المفقودين للانضمام إلى رابطة عائلات المفقودين على طريق اللجوء (AFOMAS) لتعلموا أنكم لستم وحدكم وأننا نحن أيضاً عائلات تعيش نفس الأسئلة غير المجابة وتحمل نفس الألم وتصر على الحق ذاته؛ وهو معرفة مكان أحبائنا.

» رسالة إلى المؤسسات والسلطات العاملة في الأماكن التي فُقد فيها ذوونا: معاناتنا حقيقية وهذه هي الصورة كاملة لمدى إلحاحية حاجتنا إلى إدراككم بأن مفقودينا ليسوا "حالات" أو "أرقام". هم غالون علينا. لهذا نطالبكم المرة تلو المرة بإجابات وباقتفاء أثرهم والحفاظ على كرامتهم والتحرك لأجلهم.

» مناشدة للحكومات والسلطات المحلية والداعمين لمساندة بحثنا عنهم وتسهيله فلا نُترك بمفردنا نحارب العالم بأسره ولا نسمح للبحر بابتلاع الناس والحقيقة معاً.

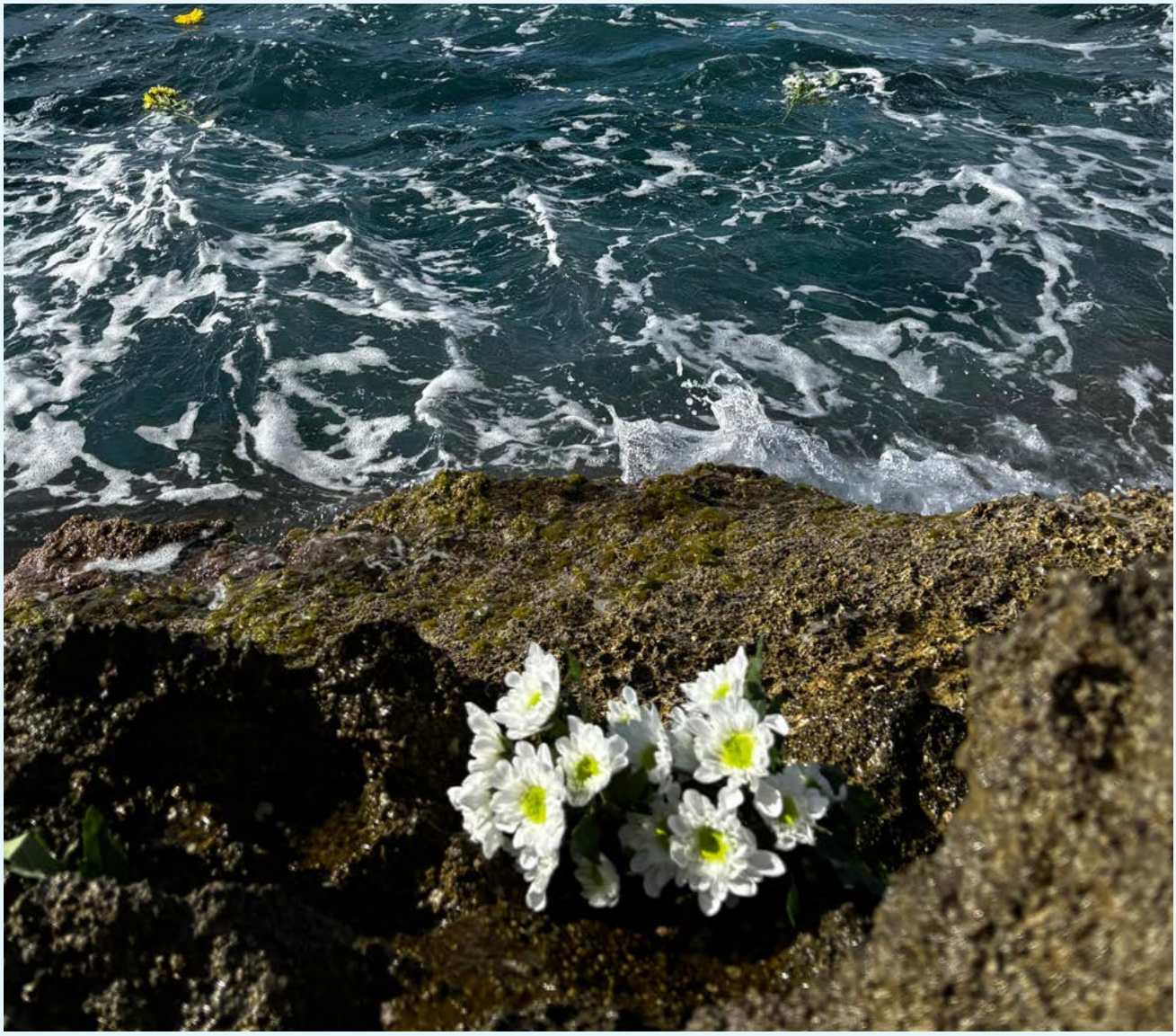

معلومات أساسية

نحن، عائلات المفقودين على طريق اللجوء، تعلمنا تنظيم أنفسنا بالطريقة الوحيدة الممكنة وبسرعة تمزج بين الذعر والأمل. فكلما وقع حادث وفُقد أشخاص، تبدأ العائلات بالبحث على الفور؛ غالباً عبر إنشاء مجموعات تواصل اجتماعي على منصات كالواتس آب والفيسبوك. فتضيف عائلة أخرى، وأخرى بعدها، محولة هذه المجموعات إلى عوالم صغيرة من الأسماء والصور والرسائل الصوتية والصلوات والأدعية وشذرات من المعلومات. تتبادل العوائل فيها كل شيء تجده. فنتواصل مع السلطات والمنظمات ونكرر الأسئلة ذاتها بلغات شتّى ولمكاتب مختلفة عبر الحدود لأننا نؤمن بوجود إجابات على تساؤلاتنا ولأنه لا يمكن للصمت أن يكون مصير أحبائنا النهائي.

هذا هو الحال منذ سنوات. وعلى الرغم من عثور العائلات على بعضها البعض على الانترنت، إلا أننا ما زلنا معزولين في الواقع. فلم يتمكن كثيرون بيننا من التحدث علناً عن معاناتنا أو من التواصل مباشرة مع السلطات في أغلب الأحيان، حاملين عبء خسارة تُركت عالقة بلا حل. وبالتالي أنشأنا **رابطة عائلات المفقودين على طريق اللجوء**[2] لمجابهة هذه العزلة والبحث بطريقة أكثر منهجية وتفعيل الآليات الرسمية لاقتفاء أثر المفقودين.

ثم تطورت هذه العملية تدريجياً. فمنذ عام 2019، تعاونت بعض العائلات مع المركز السوري للإعلام وحرية التعبير (SCM) للتكاتف معاً بصورة أكثر تنظيماً واستدامة. فتم إطلاق AFOMAS كرابطة بشكل رسمي في آذار/مارس 2025 بعد سنوات من التعاون غير الرسمي والمناصرة الجماعية.

ومنذ انطلاقتها الرسمية، تواصلت الرابطة مع مؤسسات دولية وسورية لضمان توثيق قصص المفقودين على طريق اللجوء وحفظها وإدراجها على جدول أعمال السلطات وصناع القرار.

وفي إطار هذا الجهد، تعاونت الرابطة مع جهات عدة تعمل في مجال المفقودين والمساءلة، بما فيها الهيئة الوطنية للمفقودين (NCMP) والمؤسسة المستقلة المعنية بالمفقودين في سوريا (IIMP) واللجنة الدولية لشؤون المفقودين (ICMP) واللجنة الدولية للصليب الأحمر (ICRC) والفريق الأرجنتيني لأنثروبولوجيا الطب الشرعي (EAAF) وممثلون عن الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي والمفوضية الأوروبية. تمثلت هذه المشاركات باجتماعات وتبادل للمعلومات ومناصرة وتكرار مطالب الدعم الرامية لوضع آليات فعالة للتعقب وتحديد الهوية والتواصل مع العائلات.

كما انضمت الرابطة لعائلات أخرى لمفقودين ومختفين قسراً في سوريا من خلال ميثاق الحقيقة والعدالة[7]، مما عزز التضامن بين أشكال الاختفاء والفقد على اختلافها. تعكس هذه الروابط تفاهماً مشتركاً مفاده أن الحق في معرفة مصير المفقودين لا ينتهي على الحدود وأنه لا يجوز ترك العائلات تبحث بمفردها.

(2) لمعرفة المزيد عن الرابطة، يُرجى زيارة https://afomas.org/
والاطلاع على نشاطاتنا من خلال الفيسبوك: https://www.facebook.com/afomas.association/

وإلى جانب جهود المناصرة والتنسيق، تعمل الرابطة على صون قصص المفقودين الفردية عن طريق تخليد ذكراهم وسرد قصصهم. فتشارك العائلات صور أحبائها وذكرياتهم ومعلوماتهم قبل رحلاتهم بحثاً عن الأمان. نطمح إلى إبقاء العائلات في صميم هذا العمل وليس كشهود سلبيين أو مجرد مزودي معلومات، بل كقادة لعملية البحث نفسها. لاحظنا مع مرور الوقت أن معظم التقارير والسرديات العامة عن اللاجئين المفقودين كتبها خبراء خارجيون، بينما اختزلت فيها العائلات في أغلب الأحيان إلى مجرد مصادر أو مستفيدين. لذا يأتي هذا التقرير كجزء من جهد يتحدى ذاك النمط من خلال توثيق عملية البحث من منظور أولئك الذين يعيشون عواقبه يومياً.

كُتب هذا التقرير من قبل بتول كربجها؛ أخت ميسون[3] التي فُقدت في 24 آب/أغسطس 2014[4]، وأحمد الطالب، ابن عمة سوسن وغيث اللذان فُقدا قبالة الساحل المصري في أيلول/سبتمبر 2014[5].

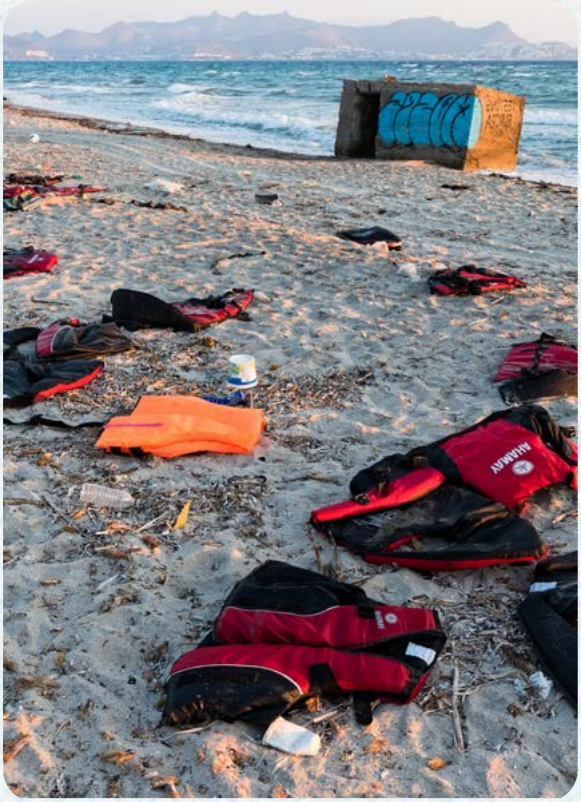

لقد بدأ عملنا للتو وسنستمر حتى نحقق أهدافنا:

- كشف الحقيقة حول مصير المفقودين على طول طرق اللجوء؛
- تعزيز آليات العدالة في قضايا المفقودين؛
- تقوية دور العائلات في هذه العمليات؛
- بناء شبكات دعم لعائلات المفقودين على طريق اللجوء؛
- ضمان معالجة حالات الاختفاء على مسارات الهجرة ضمن أطر العدالة الانتقالية؛
- منع حدوث حالات اختفاء مستقبلاً؛ وإبقاء ذكرى المفقودين حية في الأذهان.

يندرج هذا العمل ضمن سياق عالمي أوسع للهجرة والاختفاء. فمنذ عام 2014، سجل مشروع المهاجرين المفقودين[6] التابع للمنظمة الدولية للهجرة أكثر من 72,000 وفاة واختفاء على مستوى العالم، وهو رقم يُرجح أنه أقل من الرقم الفعلي نظراً لضخامة عدد الحالات غير الموثقة. يأتي الأفغان وروهينغيا من ميانمار والسوريون بين الجنسيات الأكثر تضرراً[7]. عائلات من أماكن مختلفة يجمعها ذات الغموض وذات المسائل العالقة.

(3) لاعتبارات أمنية، كافة أسماء العائلات والمفقودين الواردة في هذا التقرير مستعارة ما لم يذكر خلاف ذلك. بتول وميسون وهيثم ومحمد كربجها هي أسماء حقيقية، إذ أن بتول هي الكاتبة التي تروي قصتها بنفسها. كما أن أحمد الطالب، الكاتب الثانوي، وسوسن وغيث هي أسماء حقيقية أيضاً.

(4) للمعلومات حول هذه الحادثة بالإمكان مراجعة موقع https://news.un.org/en، في المقال بعنوان: «وفاة أكثر من 300 شخص في مآسي قوارب في البحر المتوسط، في أكثر أسابيع العام دموية – الأمم المتحدة» https://news.un.org/en/story/2014/08/475922

(5) معلومات عن هذه الحادثة موجودة على الرابط: https://english.ahram.org.eg/News/110851.aspx

(6) https://storymaps.arcgis.com/stories/1098aa8ecb07417ab4276607092149cc

(7) https://www.migrationdataportal.org/themes/migrant-deaths-and-disappearances?utm

ملاحظات أخلاقية ومنهجية

يستند هذا التقرير إلى شهادات عائلات المفقودين وروايات الناجين ومعلومات مستقاة من سلطات ومنظمات إنسانية ومصادر مفتوحة. تتباين البيانات المتوفرة في دقتها واكتمالها نظراً لطبيعة الرحلة غير الموثقة وعدم وجود سجلات رسمية مركزية.

لا يمكن دائماً التحقق بشكل قاطع من الأرقام والتواريخ والمواقع بدقة. فعلى الرغم من تأكيد عدد من أفراد العائلات تفاصيل رئيسية تخص غرق المركب، تظل بعض التناقضات قائمة لا سيما أن العديد من المآسي البحرية التي طالت لاجئين سوريين كانت قد وقعت خلال الفترة ذاتها أواخر آب/أغسطس 2014[8].

وحيثما وُجدت الشكوك، ننوه ونعترف بها بشفافية. فلا يزعم التقرير الكمال المطلق، بل يعكس بالأحرى أدق إعادة بناء ممكنة استناداً إلى المعلومات التي تمكنت العائلات من الوصول إليها والتحقق منها.

(8) https://www.unhcr.org/news/briefing-notes/three-boat-tragedies-five-days-mediterranean-scores-feared-dead

مقدّمة

هذه قصة رحلتي للبحث عن أختي، ميسون، التي فُقدت وهي في العشرين من عمرها إثر غرق المركب قبالة ساحل زوارة الليبي في آب/أغسطس 2014. كان ذلك اليوم بداية جرح لم يندمل تماماً. فسرعان ما تحول ما بدأته في محاولة بائسة لفهم ما حدث لها إلى مشوار أوسع من ذلك بكثير، مشوار مستمر لفترة طويلة، وسيستمر حتى بعد إنجاز هذا التقرير.

اسمي بتول كربجها، صحفية سورية ومخرجة أفلام وثائقية، عمري 34 عاماً وأقيم حالياً في هولندا. هربت من سوريا في نيسان/أبريل 2014 إثر الظروف المروعة للاعتقال التعسفي بحق أخي محمد على يد نظام الأسد وما تبعه من الشعور المتزايد بالخطر. بعد إطلاق سراحه في آب/أغسطس 2014، تلقينا تحذيراً واضحاً بضرورة مغادرة البلاد حفاظاً على أرواحنا. ومن الجدير بالذكر أنه تم توثيق حالات التعذيب والموت والإخفاء القسري الممنهجة داخل المعتقلات السورية على نطاق واسع، مما كشف عن حجم العنف الذي أجبر كثيراً من العائلات، بما فيها عائلتي، على الهرب[9]. وبعد شهور قليلة من رحيلي، شرع كل من أختي ميسون وأبي وأخي في الرحلة ذاتها.

منذ اختفاء ميسون، انصبّ تركيز عملي في المقام الأول على اللاجئين والمهاجرين المفقودين. وكجزء من هذا الالتزام، أصبحت واحدة من مؤسسي رابطة عائلات المفقودين على طريق اللجوء.

كانت ميسون أختي الصغرى. فرّت من سوريا في العشرين من عمرها وفُقدت في البحر الأبيض المتوسط. سافرت مع أبي وأخي اللذين تمكنا من النجاة، على عكس ميسون التي لم تنجُ. كانت ميسون شابة مليئة بالأحلام ومهندسة معمارية طموحة وموسيقية ومغنية. أحبّت الحياة والحرية والكرامة. كان أملها الوحيد أن تعيش بأمان وتسعى لتحقيق أهدافها وطموحاتها. لكن هذا الأمل قد تبدد في 24 آب/أغسطس 2014.

عندما انطلقت في بحثي عن ميسون، اعتقدت أن العثور على الإجابات هو مسألة وقت فقط، وأنه هنالك سجلاً أو اسماً او دليلاً في مكان ما. ولكن كلما تعمقت في البحث، اكتشفت مستويات أكثر من الصمت المحيط بهذه المأساة. قابلت ناجين يحملون ذكريات موجعة جداً يصعب سردها ومسؤولين تجنبوا الأسئلة ومؤسسات توقفت عن البحث منذ فترة طويلة. كشفت كل محادثة عن شرذات من الحقيقة وضخامة ما ظل مجهولاً. ومثل الكثير من عائلات المفقودين، أدركت أن وسائل التواصل الاجتماعي والشبكات غير الرسمية غالباً ما تكون الأدوات الوحيدة المتاحة لتتبع أثر الأحباء عبر الحدود[10].

على طول هذا الدرب، التقيت بعائلات وأمهات وآباء وأخوات وأخوة كثر يبحثون أيضاً عن من فقدوا من أحبائهم في مأساة غرق المركب ذاته أو على معابر أخرى على مسار وسط البحر المتوسط. رددت قصصهم صدى حكايتي. تشاركنا نفس الصور ونفس الرسائل غير المجابة وذات الليالي الطوال التي قضيناها نتخيل ما الذي قد حدث. كانت لوعاتنا، مع أنها شخصية، مرآة لبعضها البعض.

انبثق من هذه اللقاءات كيان جماعي: رابطة عائلات المفقودين على طريق اللجوء. قررنا سوية أن الصمت لم يعد خياراً. فغدت الرابطة مساحة تمكّن العائلات من تبادل المعلومات والسعي لتحقيق العدالة وتذكير العالم بأن الذين فُقدوا في البحر ليسوا مجرد أرقام مجهولة بلا وجوه، بل بشر لهم أسماء وحياة وعائلات ما زالت تنتظرهم.

(9) هيومن رايتس ووتش، لو تكلم الموتى: الوفيات الجماعية والتعذيب في المعتقلات السورية (2015)
https://www.hrw.org/report/2015/12/16/if-dead-could-speak/mass-deaths-and-torture-syrias-detention-facilities

(10) آندي غرينبيرغ: "كيف يستخدم أحد اللاجئين وسائل التواصل الاجتماعي للعثور على أخيه المفقود،" مجلة وايرد (2017)
https://www.wired.com/2017/04/locating-missing-refugees-social-media/

أصبحت هذه الرحلة كذلك موضوع فيلمي الوثائقي "ميسونتي"، ويروي الفيلم قصة بحثي عن أختي والجانب الإنساني وراء هذه المأساة[11]. وفي الوقت الذي يجسد الفيلم الجانب العاطفي لهذا البحث، يهدف التقرير للتعمق أكثر في الحقائق: لإعادة بناء ما جرى خلال مأساة غرق مركب زوارة وتوثيق ما يمكن التحقق منه من معلومات ومشاركة التحديات التي واجهتها أنا وعائلات أخرى أثناء تقصي الحقيقة في بيئة تتسم بالبيروقراطية واللامبالاة وغياب المسؤولية.

تكمن وراء كل إحصائية تتعلق بالهجرة عبر المتوسط قصة كقصتنا. آمل من خلال هذا التقرير استعادة واحداً على الأقل من هذه الأسماء، اسم أختي، وتذكير العالم بأن كل اختفاء لا يترك وراءه خسارة فحسب، بل سلسلة من بشر ما زالوا يبحثون.

هذه رحلتي في العثور على ميسون. كما أنها رحلة كثيرين غيري، ممن لا يزالون يبحثون عمّن ابتلعهم البحر وعن الحقيقة المخبأة تحت سطحه.

(11) ميسونتي (فلم وثائقي)، أفلام شخصية من المصدر مباشرة:
https://www.firsthandfilms.com/films/My+Maysoon/1000595

غرق المركب: ما الذي حدث في 24 آب/أغسطس 2014؟

كحال الكثيرين من السوريين، أُجبر أبي وأخي محمد وميسون على ترك سوريا في عجالة شديدة دون وجهة محددة. وبسبب غياب ممرات آمنة وقانونية إضافة إلى استحالة تقديم طلبات لجوء عن بعد في ظل شح الوقت والموارد، اضطرت عائلتي لسلك ذات المسار الذي سلكته.

آنذاك، ارتحلوا من **بيروت عاصمة لبنان** إلى **الجزائر** ومن هناك عبروا الصحراء إلى **ليبيا** بعد التوصل لاتفاق مع أحد المهربين. كانت رحلتهم عبر الصحراء طاحنة وطويلة وقاسية وبالغة الخطورة. استنفذت عائلتي كل طاقتها فعلاً في الوقت الذي وصلت فيه إلى ليبيا. ثم احتجزت ليلتين في مستودع جُمعت فيه أعداد غفيرة من لاجئين من مختلف الجنسيات في ظروف غير إنسانية.

في مساء **24 آب/أغسطس 2014**، وصل القارب، وأُجبرت عائلتي على الصعود إليه. أحكم المهربون سيطرتهم على الركاب بالسلاح والعنف والترهيب، ولم يتركوا لهم أي مجال للرفض أو المقاومة. وكان **مركب الصيد** مكتظاً بشكل مفرط، وغير مهيأ لحمل هذا العدد من الأشخاص. ثم انطلق من ميناء مدينة **زوارة**[12] الليبية وعلى متنه **550**[13] **شخصاً** معظمهم من **العائلات السورية** الهاربة من الحرب الدائرة إضافة إلى آخرين من **فلسطين وجنوب الصحراء الإفريقية وباكستان.**

يقدر الناجون أن عدد الركاب الفعلي قد يتجاوز **550 راكباً**. وهكذا انطلق أبي هيثم وأخي محمد وأختي ميسون في تلك الرحلة.

(12) زوارة مدينة ساحلية مينائية ذات أغلبية أمازيغية تقع شمال غرب ليبيا على البحر الأبيض المتوسط وعلى بعد حوالي 100 كم غرب طرابلس و60 كم من الحدود التونسية.

(13) لم يتم التحقق من عدد الأشخاص على متن المركب بدقة. يتراوح عددهم بين 450 و700 راكب بحسب تقديرات الشهادات.

بعد إبحاره بفترة وجيزة، واجه المركب **عطلاً في المحرك** وهو لا يزال في **المياه الإقليمية الليبية**. ولحظة وصول طائرة مروحية، وخشية اعتراضهم، بدأ المهربون بدفع المركب العاجز تجاه ما اعتقده الركاب **مياهاً دولية**[14]، تاركينهم هائمين في البحر.

وفي وقت لاحق من تلك الليلة، حوالي الساعة **19:58**، اقتربت ثلاث سفن حربية إيطالية - **باتولياتوري فوسكاري وكورفيتا فينيتشه** وسفينة دورية ثالثة لم تُحدّد هويتها – من المركب، وذلك في إطار عملية **ماري نوستروم**[15] استجابةً لنداء استغاثة. ومع اقتراب فرق الإنقاذ، ساد الذعر على متن المركب، واندفع عشرات الركاب نحو أحد جانبيه أملاً في إنقاذهم. وأدى هذا التحول المفاجئ في توزيـع الوزن إلى انقلاب المركب، الذي كان متزعزعًا أصلًا، ما أسفر عن سقوط المئات في البحر.

تم إنقاذ 352 شخصاً فقط، بما فيهم أخي محمد وأبي هيثم، ثم انتشال 24 جثة في الساعات التالية. ولم يُعثر قط على الباقين، قرابة 170 شخصاً جلهم من النساء والأطفال، حيث يُعتقد أنهم قضوا غرقاً، وأختي **ميسون** كانت بينهم.

رغم أن حادثة غرق هذا المركب كانت واحدة من عدة حوادث وقعت في ذلك العام، إلا أن التحقيق في هويات الجثث المستخرجة أثار اهتماماً بفضل جهود ضابط في الشرطة الإيطالية استخدم شبكات التواصل الاجتماعي للتعرف على الهويات. فقد تم الاستعانة بفيسبوك لمشاركة صور لمتعلقات شخصية عُثر عليها مع الجثث[16]، في ظل غياب اختبارات الحمض النووي والوثائق الرسمية. وبفضل هذا الأسلوب، تمكّن الضابط لاحقاً من التعرف على 23 من أصل 24 جثة، معظمهم من السوريين، ما منح بعض العائلات المكلومة فرصة نادرة لإغلاق ملف فقدان أحبائها.

+170
فُقدوا

24
تم دفنهم

352
نجوا

(14) المناطق البحرية الواقعة خارج المياه الإقليمية لأي بلد (عموماً بعد 12 ميلاً بحرياً من الساحل) حيث لا تخضع لسيادة أي دولة ولكن القانون البحري الدولي لا يزال سارياً بما في ذلك واجبات مساعدة الأشخاص المنكوبين.

(15) صفحة 23 من تقرير منظمة العفو الدولية "أرواح هائمة": https://www.amnesty.ie/wp-content/uploads/2016/05/Lives-Adrift-Refugees-and-Migrants-in-Peril-in-the-Central-Mediterranean.pdf

(16) https://www.wired.com/2017/04/locating-missing-refugees-social-media/

روايات العائلات

يتضمن القسم التالي شهادات ناجين وعائلات مفقودين في حادثة غرق مركب زوارة. تعكس هذه الروايات ذكريات شخصية صقلتها الصدمة والفقدان وانعدام المعلومات الرسمية. تعتبر الاختلافات في التفاصيل والأرقام والتفسيرات جزءاً من هذه التجربة الحية ونعرضها هنا دون أي تعديل.

سادت الفوضى عندما وقعت الحادثة. فلم يدري ناجون كثر، بما فيهم أبي وأخي، فيما إذا تم إنقاذ آخرين من قبل المركب المرافق أو تُركوا في البحر. لم يدركوا أن العدد الأكبر من الركاب مازال في عداد المفقودين وأنه لم يتم انتشال سوى **24 جثة** إلا بعد وصولهم إلى إيطاليا. أما العائلات التي لم تكن على متن المركب فلم تعلم بغرقه إلا بعد وصول الناجين إلى إيطاليا.

عندما اتصل بي أخي قائلاً "ميسون مفقودة"، شعرت بانهيار تام. كنت أعيش حينها في مخيم لاجئين، مما زاد من وطأة الصاعقة واللوعة. منعني الأثر العاطفي من إجراء أي بحث لسنوات عدة. لحق بي أبي وأخي إلى هولندا بعد الحادثة بأيام قليلة. ومنذ تلك اللحظة، بذل محمد محاولات متكررة للتواصل مع السلطات الإيطالية والشرطة الهولندية والصليب الأحمر. لكن لم تسفر تلك الجهود عن أي إجابات واضحة أو معلومات مفيدة.

أنشأت عائلات المفقودين السوريين – بما فيها عائلتي – مجموعة على فيسبوك ماسنجر[17] لتبادل المعلومات ودعم بعضها البعض في رحلة بحثها عن إجابات. بذل كثيرون منهم جهوداً مكثفة للعثور على أحبائهم؛ فتواصلوا مع مسؤولين ومنظمات إغاثية ووسائل إعلامية، ولكنها باءت بالفشل في معظمها. وعلى مر السنين، أُثقلت العائلات بوابل من المعلومات المغلوطة وغير المؤكدة؛ بما فيها شائعات تفيد باعتقال ذويهم المفقودين في ليبيا أو إيطاليا أو وقوعهم ضحايا للاتجار بالبشر. ورغم هذه الشكوك المؤلمة، بقيت أغلب العائلات على اتصال، ويمكن الوصول إلى عدد منها من خلال **رابطة عائلات المفقودين على طريق اللجوء.**

يصف الناجون من حادثة غرق المركب أحداث تلك الليلة بشذرات من الذاكرة شكّلها الخوف والارتباك. أخي محمد وأبي هيثم من بين الناجين. وبحسب روايتهم، كان مركب الصيد مكتظاً بصورة خطيرة وتعطل محركه حتى قبل بدء الرحلة فعلياً. ومن ثم وصل قارب آخر يديره مهربون وسحب المركب لثماني ساعات تقريباً إلى المياه الأعمق ثم اختفى فجأة تاركاً إياهم هائمين في عرض البحر[18].

وبعد ساعات من الاستنزاف، رأوا السفن الحربية الثلاث ومروحية تقترب استجابة لإشارة استغاثة. إلا أن سفن الإنقاذ ظلت على مسافة لساعات عدة، تجري عمليات فحص وتصوير، مما أثار الذعر والهلع بين الركاب. وبعد ذلك اقترب قارب إنقاذ مطاطي صغير من أحد الجوانب وبدأ يوزع ستر النجاة، مسبباً بذلك تحولاً مفاجئاً حيث تجمع الركاب في جهة واحدة من المركب المتزعزع أصلاً. دفع الخوف كثراً منهم إلى القفز في الماء، مما زاد من زعزعة استقرار المركب. وفي تلك اللحظات الفوضوية، انقلب المركب رأساً على عقب مغرقاً المئات في البحر.

(17) كانت مجموعة دردشة خاصة اسمها **"أهالي حبايبنا الغاليين"** وفيها أكثر من 100 فرد من أفراد العائلات في وقت الحادثة. مثلت المجموعة مساحة تتبادل فيها العوائل المعلومات والمصادر والدعم العاطفي. لكن لم يبق فيها سوى **49 عضواً** في **كانون الثاني/يناير 2026** عندما غادرت عائلات كثيرة الفيسبوك أو انسحبت من المجموعة بسبب تلاشي الأمل والغموض المطوّل.

(18) بحسب تجربة الناجين، يُجبر المهربون عادة القوارب إلى المياه الدولية كي لا يُعاد الركاب إلى البلد الذي انطلقت منه رحلتهم، مثل ليبيا في هذه الحالة. انظر أيضاً: https://www.wired.com/2017/04/locating-missing-refugees-so-/cial-media

محمد (شقيق ميسون، شاب سوري عمره 35 عاماً)[19] يستذكر التالي:

"لم أرد القفز لأنني رأيت كثيراً من النساء والأطفال على متن ذلك القارب، والقفز يعني تعريض حياتهم لمزيد من الخطر. وفي اللحظة الأخيرة، قفز والدي والتفت لسحب ميسون معه. كنت خلفها، أدفعها للأعلى للحاق بها. وفي تلك اللحظة تماماً انقلب القارب وغابت عن نظري. ظننت أن قارب إنقاذ آخر قد انتشلها من الماء. عندما وصلنا إلى إيطاليا، انتظرنا وانتظرنا، ولم يأت أحد. أدركنا لاحقاً أنها لم تنج. لا أعرف إن كانت قد غرقت أو ربما دُفعت للأسفل أو ارتطم رأسها بشيء ما فماتت على الفور."

روى محمد ذلك بحزن عميق. لم ترد ميسون إطلاقاً مغادرة دمشق حيث كان كامل مجتمعها ودراستها وحياتها. ولكن بعد اعتقال أخي محمد على يد نظام الأسد وإطلاق سراحه فيما بعد، لم يكن أمام العائلة خيارٌ آخرُ. فلم تعد العائلة تشعر بالأمان لذا قررت الرحيل.

لم تعش عائلتي وحدها هذه المأساة. فقد أُجبر سوريون في كل مكان على سلك الطريق ذاته؛ بسبب القصف أو الحرب أو فقدان منازلهم أو التجنيد الإجباري أو لأسباب[20] كثيرة لا حصر لها. ضرار، صديق أخي محمد المقرّب، كان معه على متن المركب نفسه، وفُقد هو الآخر.

قال لي **سوار (شقيق ضرار، شاب سوري عمره 38 عاماً)[21]**:

"انطلق ضرار من لبنان إلى الجزائر، ثم تابع بعدها إلى ليبيا، أملاً بإيجاد طريق آمن إلى أوروبا. كانت آخر مكالمة هاتفية بيننا في ذلك الصيف، قبيل صعوده على متن القارب. قال لي بصوتٍ حاول أن يُخفي فيه خوفه: 'لم أعد أحتمل. عليّ أن أصل إلى مكان آمن. لا أريد لابنتي أن تكبر خائفة مثلنا.' ولم أسمع صوته مجدداً منذ تلك المكالمة."

كان ضرار متزوجاً ولديه ابنة صغيرة لم تبلغ عامها الأول عندما رحل. عمل كمصور واشتهر بابتسامته الدافئة وروحه المسالمة. وأضاف سوار:

"في 24 آب/أغسطس 2014، أبحر القارب من مدينة زوارة الليبية. كان مركباً ضخماً مؤلفاً من ثلاثة طوابق ويحمل أكثر من 700 مهاجراً[22] من جنسيات مختلفة: سوريين وفلسطينيين وأفارقة. وبدل أن تنتهي الرحلة على شاطئ أوروبي، انتهت بإزهاق مئات الأرواح. حيث يُقدر عدد المفقودين بين 250 و400 شخص. لم نعرف قط أين غرق القارب تحديداً، في المياه الإقليمية الإيطالية أم في المياه الدولية. لم نعرف من هو المهرّب ولا كيف كانت تلك الساعات الأخيرة."

تستذكر عائلات مختلفة الرحلة عبر معلومات جزئية وصور ورسائل لم توصل لأي يقين أو طمأنينة.

(19) تم تسجيل هذه الشهادة في عام 2022، ويشير العمر المذكور إلى تلك اللحظة الزمنية.

(20) لفهم أفضل للوضع في سوريا الذي دفع آلاف السوريين للهرب من البلاد، يرجى الاطلاع على تقرير اللجنة الدولية المستقلة لتقصي الحقائق (COI) حول الانتهاكات الممنهجة في سوريا في عام 2014: https://www.refworld.org/reference/countryrep/unhrc/2014/en/20894

(21) تم تسجيل هذه الشهادة في عام 2025، ويشير العمر المذكور إلى تلك اللحظة الزمنية.

(22) لم يتم التحقق من عدد الأشخاص على متن المركب بدقة. تقدر بعض الشهادات عددهم بنحو 450 راكباً، بينما تشير شهادات أخرى إلى أن عددهم قد يصل إلى 700 راكب.

هربت **جميلة (ابنة إياد، شابة سورية عمرها 35 عاماً)**[23] وعائلتها من دوما خلال الحرب، وانتقلت إلى منطقة أخرى في دمشق عقب القصف المكثف، مثلما أُجبرت عائلات سورية كثيرة على ذلك. ووفقاً لجميلة، سافر والدها، إياد، قبل عشرة أيام من الحادثة سالكاً طريقاً عبر الجزائر إلى ليبيا. وأضافت أن المهربين أجبروا الناس على صعود القارب تحت تهديد السلاح.

"انطلق القارب في الساعة 1:00 صباحاً في 24 آب/ أغسطس 2014. وبعد حوالي 17 ساعة في البحر، تعطل المحرك في المياه الإقليمية الإيطالية. بعدها بدأ الماء بالتسرب إلى داخل القارب بسبب الاكتظاظ وضخامة عدد الركاب، إلى أن انقلب في نهاية المطاف."

تتابع جميلة:
«أنا شخصياً رأيت صورة لوالدي على متن أحد قوارب الإنقاذ، وأكد عدد من شهود العيان رؤيته يسبح بعد غرق القارب. تعرفت عليه في الصورة وأنا متأكدة بنسبة 90% أنه هو.»

يؤدي غياب المعلومات وضعف التنسيق بين الجهات المعنية إلى دفع العائلات نحو الاعتماد على مصادر غير موثوقة. فلا يعرفون من أين يبدأون ولا إلى من يتوجهون. ويشعرون بأنهم وأحبائهم يُعاملون وكأنهم بلا قيمة.
في بعض الحالات، اعتمد البحث بصورة شبه كاملة على المعلومات المتداولة عبر وسائل التواصل الاجتماعي أو المنقولة شفهيًا من شخص إلى آخر.

فقدت **وداد (شقيقة فارس، شابة سورية عمرها 34 عاماً)**[24] شقيقها فارس في الحادثة نفسها. اضطر فارس، وهو أب لطفلين صغيرين دون الخامسة من العمر، للهرب مع عائلته من منزلهم في درعا.

وبعد ما قاسوه من مشاق النزوح، لم يجد خياراً آخر سوى سلك طريق البحر المحفوف بالمخاطر أملاً بتأمين مستقبل أفضل لأسرته. قادته رحلته من مصر إلى الجزائر ثم إلى ليبيا أخيراً حيث صعد على متن ذات القارب المشؤوم واختفى.تستذكر وداد:

«ما علمناه لاحقاً من المنشورات المتداولة على مجموعات وصفحات التواصل الاجتماعي أنه عندما وصلت سفن الإنقاذ التابعة لخفر السواحل الإيطالي، هرع الناس إلى جانب واحد من القارب باتجاه سفن الإنقاذ، مما تسبب بانقلابه نتيجة الحركة الجماعية الفجائية.»

«عندما نُشرت صور لقارب، لم نعلم فيما إذا كان تابعاً للصليب الأحمر أو للأمم المتحدة، تعرفنا عليه في إحدى الصور، جالساً في المقدمة. كما سمعنا أن العديد من العائلات تعرفت على أحبائها المفقودين في ذلك الوقت، فتوقعنا أن يتواصل معنا أحدهم، لكن لم يحدث شيء.»

هذا ما تبقى للعائلات: أمل بلا أجوبة وألم بلا معلومات. يعيشون معلقين بين الاحتمالات ويعتمدون على ما يشعرون به لا على ما يعرفونه.
يصور سوار هذا الغموض بوجع كبير قائلاً:

«أحياناً أعتقد أنه ما زال حياً في مكان ما، وأستسلم أحياناً أخرى لفكرة أن البحر حمله إلى مكان بعيد عن أنظارنا. لكنه لن يُمحى أبداً من ذاكرتنا أو قلوبنا. ضرار ليس مجرد رقم في قائمة للمفقودين. إنه أخي.»

تعكس هذه الروايات مجتمعة غموضاً وشكوكاً تتشاركها العائلات وتواصل العيش معها، صاغتها شظايا ذكريات وأسئلة غير مجابة وغياب الحقيقة الرسمية.

(23)تم تسجيل هذه الشهادة في عام 2025، ويشير العمر المذكور إلى تلك اللحظة الزمنية.

(24)تم تسجيل هذه الشهادة في عام 2025، ويشير العمر المذكور إلى تلك اللحظة الزمنية.

البحث عبر الحدود

امتد البحث عن الإجابات عقب حادثة غرق مركب زوارة بوتيرة متفاوتة عبر البلدان متأثراً باختلاف الأنظمة القانونية والاستجابات المؤسسية ومستويات الوصول.

1.1 الاستجابة الإيطالية

من بين الجثث التي تم انتشالها، نقلت البحرية الإيطالية 24 جثة إلى إيطاليا. وتم التعرف على هويات معظمها عن طريق تحقيق أجراه ضابط الشرطة الإيطالي **أنجيلو ميلازو** عبر الفيسبوك. فقد تمكن من تحديد هوية 23 جثة مستخدماً ملابس ووثائق وغيرها من الأغراض الشخصية؛ دون الكشف عن الأسماء بموجب قوانين الخصوصية والبيانات الشخصية. كانت تلك الجهود آنذاك مبادرة فريدة من نوعها وغير مسبوقة بدت شخصية إلى حد كبير وحظيت بتقدير عميق[25].

وعلى الرغم من ذلك، لا تمثل الجثث الأربع والعشرون سوى نسبة ضئيلة من مئات في عداد المفقودين. لم تكن تغطية الحادثة عبر الانترنت كافية، وشرح لي ميلانو أن قلة عدد الجثث المنتشلة ساهم بنقص الاهتمام. هذا ولم تعترف السلطات الإيطالية علناً قط بأن كثر آخرون مازالوا في عداد المفقودين؛ مما حدّ من التغطية الإعلامية.

نتيجة لذلك، اختُزلت المأساة اختزالاً كبيراً في عنوان "24 قتيل[26]" وهو رقم يُعتبر صغيراً للغاية ولا يستدعي اهتماماً إعلامياً متواصلاً.

ما يصدمني، كأخت، هو عملية الإنقاذ نفسها. كيف لقارب انقلب في وجود ثلاث سفن إنقاذ ومروحية أن يُترك ليغرق ومازال على متنه بشر؟ كيف يُعقل أن تفشل كل تلك الموارد بانتشال الجثث سواء بالغوص أو بطلب نجدة إضافية؟ من المروع التفكير بمدى الاستهانة بتلك الأرواح والتخلي عنها وسط البحر، أرواح لم تترك خلفها مأساتي فحسب، بل مآس لا تعد ولا تحصى. إبان زيارتي لإيطاليا عام 2021 وبحثي عن ميسون، طرحت تلك الأسئلة على أنجيلو ميلازو. لم يبد أن لديه أي إجابة، وقد كان المسؤول الوحيد الذي وافق على التحدث معي.

حاولت أيضاً زيارة عدد من قبور اللاجئين المجهولة في صقلية، لكنها لم تبد مرتبطة بحادثة 24 آب/أغسطس، وهو أمر مفهوم نظراً لوقوع الحادثة بعيداً عن المياه الإيطالية. ومع ذلك، فُطر قلبي لرؤية تلك القبور لا يميزها إلا أرقام، دون بذل أي جهد لتعقب أثر ذويهم أو استعادة هوياتهم.

(25) https://www.wired.com/2017/04/locating-missing-refu-gees-social-media/

(26) (مأساة في البحر الأبيض المتوسط): https://www.linkiesta.it/2014/08/mediteralso raneo-tragedia-senza-fine/,,

وفي حين أصرت تصريحات رسمية من إيطاليا على عدم العثور على مزيد من الجثث أو الناجين من حادثة 24 آب/أغسطس ضمن مناطقها، كشفت وثيقة مسربة لاحقاً أنه تم العثور على جثث في تونس وليبيا أيضاً، مسلطة الضوء على النطاق الأوسع للمأساة.

PUBLIC PROSECUTOR'S OFFICE (PROCURA DELLA REPUBBLICA)
at the Court of SIRACUSA
Interagency Group for Combating Illegal Immigration
Tel. 0931-752669 – Fax 0931-494412
E-mail: gick.procura.siracusa@giustizia.it

Prot.: 502/14 Gick — Siracusa, 05/11/2015

SUBJECT: P.P. 9005/14 mod. 21 – Service report on activities for the identification of bodies, shipwreck of 24/08/2014, disembarkation of 26/08/2014 at the Commercial Port of Augustaof no. 352 shipwreck survivors and 24 bodies.

To Dr. Marco DI MAURO
Deputy Public Prosecutor
IN OFFICE

The undersigned Chief Inspector P.M. Angelo MILAZZO, following the service order of 28/08/2014 issued by the head of the G.I.C.I.C., Deputy Superintendent Carlo PARINI, and pursuant to the delegations of the Deputy Public Prosecutor Dr. Martina BONFIGLIO (Attachments 1, 2 and 3), hereby transmits the outcome of the activities carried out to date, stating that of the 24 bodies, 21 have been identified by family members.

The following three bodies remain to be identified:

27

(27) تم الحصول على هذه الوثيقة عن طريق مصدر سري خاص. انظر ترجمة الصورة في الملحقات.

1.2 تونس: قبور بلا شواهد

بعد بحث مكثف عن بقية الجثث، قررت زيارة تونس في 2022، أملاً بالعثور على أي معلومة عن ميسون. فاكتشفت[28] أن 54 جثة جرفتها الأمواج إلى **شاطئ ميناء الكتف في بن قردان**[29] ودفنت فيه. أكد لي مصطفى عبد الكبير، رئيس قسم حقوق الإنسان في بن قردان، أن تسعاً من الجثث كانت لنساء وأربعة من الأطفال. وقد تم العثور على جوازات ووثائق سفر لـ24 منهم، من أصل الـ 54 جثة، وذلك في موقع الحادثة مما كشف عن أسماء سبعة من الإناث، وُجدت إحداهن على قيد الحياة لاحقاً، بينما بقيت ثماني ضحايا من النساء مجهولات الهوية.

كما ذكر لي أنه تم جمع الجثث في 31 آب/أغسطس ودفنها في 1 أيلول/سبتمبر. تتطابق بعض الأسماء في هذه القائمة مع تلك في قائمة المفقودين وأسماء الناجين؛ تلك هي الطريقة التي ربطت فيها هذه المقبرة بالحادثة. غير أن حادثة أخرى وقعت في 23 آب/أغسطس وتضمنت كثيراً من السوريين أيضاً، ولا سبيل للتأكد فيما إذا كانت هذه الجثث تعود لهذه الحادثة أو تلك.

ما تلا ذلك لم يكن اكتشافاً واحداً فقط، بل سلسلة من تأكيدات جزئية وشكوك متجددة.

أخبرني بأنه لم يتم إجراء اختبارات حمض نووي أو فحوصات طبية شرعية مناسبة للجثث المستخرجة. كما لم يتم العثور إلا على القليل من الوثائق، بينما دُفنت الجثث دون إجراء أي تحقيق واف.

خلال زيارتي لتونس، اطلعت شخصياً على صور لجثث ست نساء التقطها مصور محلي[30]. لم تطابق أي منهن وصف ميسون. كما ذكر متطوع موثوق به، كان قد ساهم في عملية الدفن، أن النساء الست كلهن ارتدين حجاباً، مما يضعف احتمالية أن تكون أختي إحداهن. بيد أنه أشار إلى تفصيل مهم: تم الفصل بين الجثث بحجارة مع أنها تعتبر مقبرة جماعية.

شعرت بخدر في داخلي عندما كنت أراجع الصور. جزء مني كان يدعو بصمت ألا تكون أختي بينهن؛ ربما لم يستطع ذلك الجزء تحمل رؤية جسد ميسون منتفخاً أو مهملاً أو مرمياً. ففي ذهني، بقيت ميسون الجميلة التي أذكر وأردت الاحتفاظ بصورتها هكذا. إلا أن جزءاً آخراً أكثر عقلانية داخلي يدرك أن رؤية الحقيقة ضرورية للارتياح والسلام الداخلي.

زرت بعد ذلك موقع الدفن في **تونس** بمساعدة المصور الذي أعانني في تحديد مكان القبر. الموقع بالكاد يشبه المقبرة؛ أرض مهجورة ضمن **منطقة عسكرية** غير متاحة للعموم. صُعقت لرؤيتها مليئة بالأنقاض؛ مساحة مهجورة دون أي لافتة أو إشارة تدل على أنها أرض دفن. تكلمت مع الحرس الوطني في الموقع، لكنهم لم يكونوا على دراية بوجودها أصلاً. ما زلت أتساءل إلى يومنا هذا: ماذا سيحدث للجثث المدفونة هنا؟ ماذا لو شُيد مبنى على هذه الأرض؟

31

(28) كانت العديد من العائلات على دراية بهذه الحقيقة منذ وقوع الحادثة، لكنني لم أعرف بها إلا أثناء بحثي.

(29) ميناء الكتف هو **ميناء صيد** يقع قرب مدينة **بن قردان** جنوب تونس وعلى مقربة من الحدود مع ليبيا. ويشتهر في المقام الأول في الأخبار الدولية بكونه موقعاً تجلب إليه البحرية وخفر السواحل التونسيان المهاجرين الذين يتم إنقاذهم أثناء محاولتهم عبور البحر المحفوف بالمخاطر إلى أوروبا من ساحل شمال إفريقيا.

(30) تتوفر الصور عند الطلب من الكاتبة الرئيسية.

(31) التقط المصور هذه الصورة خلال عملية الدفن.

نفت اللجنة الدولية للصليب الأحمر أي صلة لها بتلك المقبرة. إلا أن منجي سليم، رئيس الهلال الأحمر في بن قردان، أخبرني أن اللجنة الدولية للصليب الأحمر كانت قد أرسلت خبيراً في الطب الشرعي من جنوب إفريقيا قدّر بدوره تكلفة تحديد هويات الجثث بمبلغ 1.5 مليون دولاراً أميريكياً، وهي ميزانية ضخمة يتعذر تحملها.

أثارت تلك الحقيقة صدمتني. فلا يُعتبر إجمالي **1.5 مليون** ضخماً بالنسبة لمنظمة تدير آلاف العمليات، لا سيما إذا أخذنا بعين الاعتبار ما يمكن حشده من موارد وأموال وتبرعات أخرى لهذا الغرض. أتصور أن العائلات نفسها سترغب بالمساهمة أيضاً. أكثر ما أزعجني هو **أننا نحن العائلات** لم نُبلغ بهذا الأمر على الإطلاق. وعندما واجهت اللجنة الدولية للصليب الأحمر بهذه المعلومة، أنكروا حدوثها تماماً، تاركين لي عبء التعامل مع البيروقراطية لمنظمة تبدو، من وجهة نظري، ضعيفة في التنسيق الداخلي وتعاني من سوء الإدارة العامة.

صورة لميناء الكتف في بن قردان على خرائط غوغل.

1.3 البحث في ليبيا

تبقى المعلومات الواردة من ليبيا الأكثر محدودية ويصعب التحقق منها، متأثرة بانعدام الأمن وتقييد الوصول وغياب السجلات الرسمية الشفافة.

وبحسب التقرير الإيطالي، جرفت الأمواج حوالي 60 جثة إلى شواطئ ليبيا، إلا أنه لا تتوفر أي بيانات تتعلق بهوياتهم أو مواقعهم بدقة.

بالنسبة لي، لم تكن زيارتي إلى ليبيا آمنة أو مثمرة في نهاية المطاف، خاصة أنني لم أمتلك **أي معلومة موثوقة كنقطة انطلاق.** نتيجة لذلك، اقتصر بحثي على طرائق بحث عن بُعد.

وجدت أدلة تشير إلى إجراء عملية دفن في مقبرة بئر الأسطى ميلاد في 25 آب/أغسطس، أي بعد يوم واحد فقط من حادثة غرق المركب. فقد دُفنت جثث في مقبرة بئر الأسطى ميلاد في طرابلس على يد الهلال الأحمر الليبي. وعلى الرغم من ذلك، ما زال الرابط بين هذه الجثث وحادثة غرق المركب غير واضح. أبلغني صحفي، فضل عدم الكشف عن اسمه وكان يحقق في مقبرة بئر الأسطى ميلاد، بأن كل الجثث التي دُفنت هناك تعود لمهاجرين غادروا طرابلس ثم جرفتهم الأمواج إلى شواطئها. وأصرّ على عدم وجود أي صلة بين هذه الضحايا وحادثة غرق مركب زوارة. كما كشف عن وجود عدد من مقابر المهاجرين في زوارة وعن مساهمة الهلال الأحمر بدفن الجثث فيها. وبحسب مصادره، تم جمع عينات حمض نووي من كافة المتوفين. لكن يبقى السؤال الأهم: **أين تُحفظ هذه البيانات؟** من المفترض أن تكون هذه السجلات بحوزة إدارة التحقيقات الجنائية الليبية أو النيابة العامة، ولكن ثبت أنه من المستحيل الوصول إليها حتى الآن.

حاولت جمع مصادر من ليبيا، لكن كان ذلك بالغ الصعوبة. وفي نهاية المطاف، حصلت على رقم هاتف شخص يُشار إليه باسم **الدكتور عصام**[32] من الهلال الأحمر الليبي، لكن اسمه الكامل مازال غير واضحاً. ورغم تأكيده وجود العديد من المقابر الجماعية للاجئين في زوارة، إلا أنه رفض مشاركة أي بيانات إلا إذا سافرت شخصياً إلى زوارة. سأقوم بالرحلة إذا ما تأكدت أولاً من وجود معلومات ذات صلة.

في جميع السياقات الثلاثة المذكورة، واجهت العائلات المحصلة ذاتها: معلومات جزئية ووصول محظور وغياب استجابة منسقة قادرة على الإجابة على أبسط سؤال: أين أحباؤنا؟

(32)لم يتم إطلاعي أبداً على اسمه الكامل ولا منصبه، ولا حتى من قبل المصدر نفسه.

المفقودون: وجوه وأسماء

كيفية توثيق العائلات للمفقودين

غداة حادثة غرق المركب، لم تتردد العائلات في مشاركة كل معلومة تتعلق بأحبائها المفقودين. فعممت أسماءً وصوراً ومعلومات تواصل غالباً ما تضمنت أرقام هواتف، على أمل أن يتعرف أو يعثر عليهم أحد. في الواقع، أصبحت العائلات منبعاً رئيسياً للمعلومات والمصادر. ولكن تُركت هذه الخبرات والمعارف الجماعية بلا دعم أو تقدير يُذكر؛ فقد عوملت العائلات كعبء لا كشريك في معظم الأحيان. من تجربتي الشخصية، كثيراً ما شعرت أنني كلما جمعت مزيداً من المعلومات، كلما نُبذت أكثر من قبل أولئك في مناصب صنع القرار. جمعت خلال بحثي قائمة بالأشخاص الذين تم الإبلاغ عن فقدانهم في حادثة 24 آب/أغسطس وأرشفتها استناداً إلى معلومات قدمتها العائلات والمصادر العامة والوثائق المتوفرة. وحرصاً على حماية الخصوصية وضمان استخدام البيانات الحساسة استخداماً مسؤولاً، لم تُنشر هذه القائمة كاملة؛ بالإمكان مشاركتها عند الطلب من الرابطة شريطة الحصول على موافقة ووفق ضمانات مناسبة.

عن القائمة:

قامت العائلات بتجميع قائمة أسماء من **مصادر عامة** بالدرجة الأولى، لا سيما وسائل التواصل الاجتماعي. وتوثق هذه القائمة أسماء السوريين الذين فُقدوا في حادثة غرق مركب زوارة في 24 آب/أغسطس 2014. تم جمع المعلومات من مواد متاحة للعموم: بما فيها تقارير إعلامية ومنشورات على صفحات الفيسبوك وشهادات لناجين ومقابلات مع عائلات. تُرجمت الأسماء إلى الانجليزية حيثما أمكن، كما أُدرجت صور[33] لإضفاء صبغة إنسانية على أولئك الذين اختفوا. وبينما تشير تقديراتنا إلى أن حوالي **170 شخصاً** ما زالوا في عداد المفقودين، إلا أنه لم يتم الإبلاغ رسمياً عن كل الحالات من قبل العائلات، وقد يكون الرقم الفعلي أعلى ذلك. هذه القائمة ليست شاملة، لكنها تمثل جهوداً كبيرة بُذلت لتوثيق مفقودين ما زالوا مجهولي المصير.

34

المركز الصحفي السوري
September 3, 2014

قائمة بأسماء المفقودين من حادثة غرق مركب 24-8-2014 المنطلق من مدينة زوارة في ليبيا. (كلنا شركاء)

1. عبد الحميد فاروق الصاح
2. خالد عويتي
3. ياسر يوسف عمرو
4. أماني جمال مريش
5. عائدة أسعد عويدات
6. فادي جمال الفالوجي
7. محمد سمير سنوبر
8. ميسون كريمها
9. ضياء تحفافة
10. رامي الدوس
11. كنان هيثم حجازي
12. احمد الدملخي
13. ابراهيم الدملخي

(33) تتوفر الصور عند الطلب من الكاتبة الرئيسية. لم تُدرج الصور في هذا التقرير احتراماً لخصوصية وكرامة المفقودين وعائلاتهم.

(34) https://www.facebook.com/syrianpresscenter/photos/a.1387572298152044/1498251250417481/?id=7585178150756

قائمة بالأشخاص المفقودين والذين حُددت هوياتهم

- تأتي هذه الأرقام من مصادر ومواقع مختلفة ويتعين تفسيرها باعتبارها مجموعة بيانات جزئية لا عدد واحد موحد.
- تضمنت قائمة الأسماء المنشورة على مواقع التواصل الاجتماعي لمفقودين سوريين في الحادثة 147 شخصاً. عندما كنت في تونس، تم إبلاغي بأن هناك 54 حثة دفنت في تونس، وتلقيت قائمة فيها أسماء 24 من الأشخاص الذين جرفتهم الأمواج إلى شاطئ **ميناء الكتف في بن قردان.** وبحسب الوثائق التي تم جمعها من الجثث، كان بينهم 21 شخصاً من مختلف المدن السورية كدمشق وضواحيها ودرعا وإدلب واللاذقية والرقة. 5 منهم كانوا أطفالاً و16 بالغاً؛ 7 إناث و14 ذكراً.
- تُعدّ القائمة بمثابة عمل توثيقي وتخليد للذكرى وسجلاً للثغرات التي خلفها غياب عمليات رسمية ومنسقة للتعرف على الهويات.

نوع الوثيقة	رقم الوثيقة	صاحب الوثيقة	تاريخ و مكان الولادة	
جواز سفر	006286547	محمد بن محي الدين المحمد	1977-05-09	دمشق
	003416338	وسيم محمد بن امين التوحة	1975-01-01	دمشق
	006197792	هيثم بن احمد شكو	1978-02-18	ريف دمشق
	009291991	ساره بن رضوان الحامدي	1989-03-25	درعا سورية
	007437631	رشا بنت محمد عدنان الرز	1986-05-17	دمشق
	007763705	ندى بنت كمال الدين نواف	1985-10-05	ريف دمشق
	009322232	محمد بن جمعه عاشور	1967-05-04	ريف دمشق
	007763706	عمر بن محمد المحمد	2011-02-01	ريف دمشق
	009291581	اكرم بن قطيش الجوابرة	غير واضح	
	009291993	ميرا بنت اكرم الجوابره	2011-02-08	درعا سورية
	009291999	محمود بن اكرم الجوابره	2013-03-18	درعا سورية
	009291998	ماريا بنت اكرم الجوابره	2012-02-14	درعا سورية
	009291992	يوسف بن اكرم الجوابرة	2014-07-01	
	003077467	قتان بن هيثم حجازي	1988-11-09	دمشق سوريا
	0056391311	حسن بن فواز الراشي	1973-12-01	دمشق سوريا
	006640926	ايلاف بن محمد عدنان الزعبي	1979-07-11	درعا سورية
	004741628	شادي بن محمد طارق معراوي	1986-01-25	حلب سوريا
	WR2752316	جمال مجيدي	1980-10-01	مغربي الجنسية
بطاقة شخصية	121000032644	وسيم بن محمد امين التوحة	1975-01-01	دمشق
	01010350869	رشا بنت محمد عدنان الرز	1986-05-17	دمشق
	01010239160	مراد بن محمد حسان عبدالله	1993-01-01	اللاذقية سورية
	03250043296	هيثم بن احمد شكو	1978-02-18	معضمية سورية
	03100010763	جمعه بن محمد عاشور		زاكوس سورية
	01010096776	قتان بن هيثم حجازي	1988-11-09	دمشق سوريا
	01030047319	أسامة بن فاروق أبو حمزة	1987-09-17	دمشق سوريا
	12060054992	ايلاف بن محمد عدنان الزعبي	1979-07-11	اليهودية سوريا
	IA72218	جمال مجيدي	1980-10-01	بني زرنك خريبكة
رخصة سياقة	47585	محمد المحمد بن محي الدين	1977	ريف دمشق
	971960	محمود التشان بن عبد	1975	الرقة الكرامة سوريا
	421160	اكرم قطيش الجوابرة	1976	درعا سوريا
	72371	وسيم بن محمد امين	1975	دمشق سوريا
	2519481	عدنان بن عيصوم الاسود	1986-01-27	النبوره لبنان
	80989	جمال مجيدي	1980	مغربي الجنسية
	47676	قتان بن هيثم حجازي	1977	دمشق سوريا
	277722	أسامة أبو حمزة بن فاروق	1987	
	21522	ايلاف بن محمد عدنان الزعبي	1979	اليهوده سوريا
	M01K829270	مصعب محمد عثمان سايل		سوداني الجنسية
دفتر عائلي		محمد بن محي الدين المحمد	1977-05-09	دمشق
بطاقة تابعة لوزارة العدلية السوريةالشؤون المدنيةام	2483991	احمد بن عبد النبي		الغوطة معضميه سوريا

35

(35) تتضمن الصورة قائمة بالمفقودين + أشخاصاً تم التعرف عليهم/انتشالهم.
حيثما ترد الصور، تم نشرها بموافقة العائلة ولأغراض تحديد الهويات وتخليد الذكرى.

سؤال ينتظر إجابة: أين الضحايا الباقون؟

على الرغم من انتشال جثث في بلدان عدة، لا تزال أعداد كبيرة من مفقودي حادثة مركب زوارة الغارق مجهولة المصير وغير محسوبة.

فبجمع الجثث المؤكدة التي عُثر عليها في إيطاليا وتونس وليبيا، يمثل العدد الإجمالي حوالي 138 شخص[36]. وهذا يعني أن مصير الكثيرين ما زال مجهولاً. ربما ضاعت بعض الجثث في البحر، ولكن يبقى هناك احتمال آخر:

هل ما زال المفقودون داخل المركب الغارق؟

لم تنتشل السلطات الإيطالية المركب، مما جعله مقبرة جماعية محتملة. لذا لم يتوقف بحثي هنا، وشرعت في البحث عن المركب الغارق. وحتى ذلك الحين، أشارت كافة المعلومات المتوفرة إلى أن المركب كان في المياه الدولية. في تلك المرحلة، تحول البحث من اقتفاء أثر الناس إلى تتبع موقع الكارثة نفسها. بات العثور على المركب وسيلة لمواجهة احتمالية أن المفقودين لم يغادروه أبداً.

تحديد موقع المركب الغارق

رغم البحث المستفيض، لم أتمكن من تحديد موقع المركب. وأخيراً، أثناء مراجعة فيديو سجلته السلطات الإيطالية للحادثة، لاحظت الإحداثيات الظاهرة في الزاوية. واستطعت، باستخدام هذه المعلومة، تحديد موقع الغرق والتأكد من بقائه في المياه الليبية.

33° 19.82’N, 12° 10.84’E (or 33.3394444, 12.19)

ومع ذلك، لا تزال أسئلة كثيرة بلا إجابة: بعد كل هذه السنين، هل يمكن أن تكون هناك أي جثث؟ هل ما زال حطام المركب نفسه سليماً أم حملته التيارات بعيداً؟ ماهو عمق البحر في هذا الموقع وما الذي يتطلبه الوصول إليه بأمان؟ هل هناك أي جهات أو منظمات مستعدة للاستثمار في بحث مناسب عن هذه الأرواح المفقودة؟ الآن وقد تم تحديد موقع المركب الغارق، يكمن التحدي المقبل في إيجاد غواصين وخبراء متخصصين بمقدورهم انتشال الجثث بطريقة مناسبة علمياً وأخلاقياً.

على الرغم من جرف الأمواج العديد من الجثث إلى شواطئ ليبيا وتونس، إلا أنه لم تُبذل أي جهود لنبشها أو إجراء أي عمليات لتحديد هوياتها بما يتيح للعائلات دفن أحبائهم بطريقة كريمة. لا تزال هذه الجهودة مستمرة، مما **يبرز** التشابك المعقد بين الأمل والصعوبات التقنية والمسؤولية المؤسسية المستمرة في رسم هذه المأساة. فبدون دعم مؤسسي أو الاستعانة بخبرات تخصصية، سيبقى البحث معلقاً دون حل.

(36) جرفت الأمواج 60 جثة إلى شواطئ ليبيا ومايقارب 54 جثة جرفت إلى مرفأ الكتف في تونس، كما عُثر على 24 جثة في إيطاليا.

تحديات واجهتها عائلات مركب زوارة الغارق

تكشف التجارب الوارد وصفها في الأقسام أعلاه عن تحديات متكررة واجهتها العائلات في بحثها عن الحقيقة والكرامة والخاتمة.

برهن البحث عن أختي، ميسون، على مدى تعقيد الأنظمة المحيطة باللاجئين المفقودين وتشرذمها وعدم اكتراثها في أحيان كثيرة. فقد عوملت بشك وريبة منذ البداية كما لو كنت تحت المراقبة. لم أتلق أي رد على استفساراتي المتكررة للسلطات وتُركت بلا أي توجيه واضح إلى من ألجأ. حتى المنظمات التي كنت آمل أن تساعدني، كالصليب الأحمر، فرضت قيوداً صارمة: فقد اضطررت للتواصل مع مكتبهم في هولندا فقط، والذي لم ينسق بدوره مع مكاتب البلدان الأخرى مما جعل المعلومات الهامة صعبة المنال.

قبل مشاركتي عن كثب في البحث عن ميسون، شعر أخي بالعجز لسنوات. ويقول:

> "بعد سنوات من المأساة، دعانا الصليب الأحمر مرات عدة لإعادة سرد قصتنا، إلا أننا لم نتلق من طرفهم أي معلومات أو متابعة وافية. تكمن المشكلة الفعلية في عدم وجود جهة أو منظمة واحدة مسؤولة عن تجميع معلومات المهاجرين المفقودين أو مكانهم أو من نجا منهم تجميعاً مركزياً. حتى البرامج والجهود الصغيرة التي تبذلها بعض المنظمات تفتقر للبيانات والتنسيق الكافيين. فيخلق غياب التنسيق هذا فجوة هائلة تترك المعلومات القيمة التي جُمعت متشرذمة وصعبة المنال."

مرت جميلة بنفس التجربة التي عاشتها عائلتي. أجبر فقدان والدها سائر العائلة على البحث عنه أملاً بإيجاد جثة على الأقل:

> "ذهب أحد أقاربنا إلى إيطاليا لالتماس معلومات وطلب تراخيص، لكن أحداً لم يعطه أية إجابات. ذهبت شخصياً إلى مكتب الصليب الأحمر في ألمانيا، حيث أدليت بشهادتي وقدمت بلاغاً عن شخص مفقود، إلا أنني لم أحصل على أي متابعة أو تحديث. كانت وسائل التواصل الاجتماعي مصدر معلوماتنا الوحيد. وفي إحدى المرات، نشرت نوال، ناشطة مقيمة في إيطاليا، منشوراً يفيد باحتجاز حوالي 100 شخص في سيراكوزا، ثم حذفت منشورها بعد فترة وجيزة. وعندما تواصلنا معها، أنكرت نشره أصلاً. ونجهل إلى يومنا هذا مدى صحة تلك المعلومة."

يجبر غيابُ نظامٍ مركزي وأي شفافيةٍ حقيقيةٍ العائلات، مثل عائلتي، على اللجوء إلى أي جهة قد تمتلك معلومات، وغالباً ما ينتهي بها المطاف في دوامة من الشائعات أو المعلومات المضللة حول أحبائها المفقودين. تُركت العائلات وحيدة، منسية، تتخبط في متاهة من الألم ومن دون وجهة واضحة تلجأ إليها. وحتى المنظمات الإنسانية، التي يُفترض أن يتجاوز دورها مجرد توثيق الحالات، لا تقدم إجابات ملموسة، بل قد تُفاقم أحياناً، من غير قصد، الضائقة النفسية التي تعانيها هذه العائلات أصلاً. يضيف سوار قائلاً:

> "لم تتخذ عائلتي أي خطوات قانونية في البحث؛ ليس لأننا لم نعرف من أين نبدأ فحسب، بل لأن الأمل كان أقوى من الورقيات."

غالباً ما يكون التشبث بالأمل أشد إيلاماً من أي شيء آخر. تقضي العائلات سنوات دون التوصل إلى خاتمة أو إيجاد سكينة أو إجابات. فإلى جانب صراعها مع غياب المعلومات والأخبار، تُترك العائلات وحيدة تجابه صدماتها.

حمل أخي عبء البحث عاماً بعد عام. استنزف غياب الإجابات كل معنى في حياته. حدثني قائلا: "لم أنس أبداً تلك اللحظة. لم يفارقني الإحساس بالذنب على الإطلاق."

تعكس رواية أخي الشخصية استمرار الصدمة العاطفية بالتأثير على عائلات المفقودين، رغم مضي سنوات على المأساة. الشعور العميق بالذنب هو قاسم مشترك بين معظم العائلات.

أخبرتني جميلة التي فقدت والدها في الرحلة ذاتها:

"حتى الآن في 2025، مازلت أعاني من انهيارات بالبكاء عندما أكون لوحدي. لا يفارقني بتاتاً الشعور بالذنب لأننا، كعائلته، ربما شجعناه على القيام بتلك الرحلة. لم أتلق أي دعم نفسي هنا في ألمانيا؛ كانت عائلتي وحدها مصدر قوتي الرئيسي."

يجسد هذا الكفاح الشخصي واقعاً أوسع نطاقاً لما تعانيه عائلات المفقودين من حادثة المركب الغارق. حيث تواجه العائلات عبر مختلف البلدان والمؤسسات ثغرات هيكلية وعراقيل بيروقراطية وعزلة عاطفية.

وتلخص التحديات أدناه المصاعب التي تواجهها عائلتي وأخرى غيرها في حالات مماثلة:

- **غياب نظام معلومات مركزي،**

لا توجد جهة واحدة تتعقب المهاجرين المفقودين أو أماكنهم أو أوضاع نجاتهم أو الجثث المنتشلة. فقد تُركت العائلات تعيد ترتيب معلومات متشرذمة من مصادر متعددة، وغالباً دون التثبت من صحتها.

تشظي الدعم الإنساني والمؤسسي،

تقدم سلطات أو منظمات غير حكومية مبادرات صغيرة ولكن تعاني من قلة الموارد وضعف التنسيق والتضارب. غالباً ما تجمع تلك البرامج بعض البيانات لكنها تفشل بمشاركتها مع المنظمات الأخرى، مما يخلق فجوات معرفية ضخمة.

تكرار السرد دون نتائج،

تضطر العائلات لإعادة سرد قصصها مرات عدة لمنظمات مختلفة، وغالباً دونما أي متابعة أو تحديثات أو نتائج عملية قابلة للتنفيذ.

معوقات في التواصل العابر للحدود،
يتوزع الناجون والعائلات في بلدان مختلفة. وتحصر المنظمات، كالصليب الأحمر، التواصل بالمكاتب المحلية فقط، مما قد يمنع التواصل المباشر مع تلك الموجودة في بلدان أخرى وربما لديها معلومات بالغة الأهمية.

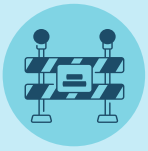

محدودية الشفافية من السلطات،
لطالما قدمت السلطات الإيطالية والليبية والتونسية معلومات ضئيلة أو متناقضة. ولا يزال العديد من الأشخاص المفقودين غير معترف بهم رسمياً، ونادراً ما تعكس التقارير العامة الحجم الشامل للمأساة.

إعطاء الأولوية للتوثيق على حساب الإنقاذ،
يبدو أحياناً أن عمليات الإنقاذ تمنح الأولوية للتصوير والتوثيق على حساب إنقاذ الأرواح الفوري. حيث تقضي القوارب ساعات تحت المراقبة قبل أي محاولة لإنقاذ الأرواح المعرضة للخطر، تاركة العائلات تتسائل عن سبب فشل تلك الموارد في إنقاذ الأرواح وانتشال الجثث.

تحديات في التحقق من روايات الناجين،
فالصدمات والذكريات المتضاربة وتأخر الإبلاغ تصعّب تحديد تسلسل الأحداث الزمني بدقة. وبالتالي تتعامل العائلات مع شهادات ناقصة أو متضاربة.

الأضرار العاطفية والنفسية،
تتكبّد العائلات لوعةً تفاقمها اللامبالاة والبيروقراطية والعزلة والشكوك المستمرة في عدم معرفة مصائر أحبائها. ورغم التضامن بين العائلات المتضررة، تسلط اللوعة المشتركة أيضاً الضوء على الإهمال والظلم المتأصلين في هذه الأنظمة.

ضآلة اهتمام الرأي العام ووسائل الإعلام،
تحظى الحوادث التي لا يُنتشل فيها إلا بضع جثث بتغطية إعلامية محدودة، مما يزيد من تهميش العائلات ويخفف الضغط على السلطات للتحرك أو لتقديم إجابات.

تجاهل منهجي طويل الأجل،
يتمثل الأثر الإجمالي لهذه التحديات بترك العائلات تبحث إلى أجل غير مسمى وتتنقل بين أنظمة معقدة ووكالات غير منسقة ومعلومات شحيحة في الوقت الذي تعاني فيه مرار خسارة شخصية عميقة.

تشكل هذه التحديات مجتمعة دوامة من الغموض تتجاوز بأبعادها لحظة الاختفاء. تُترك العائلات متنقلة عبر أنظمة مفككة وأحزان لم تُشف وانتظار مطول دون اعتراف أو دعم أو مسارات واضحة في معظم الأحيان. لا ترسم هذه التجارب ملامح البحث عن المفقودين فحسب، بل تصوغ أيضاً حياة من تركوا خلفهم.

خاتمة

لم تنته مأساة مركب زوارة الغارق في 24 آب/أغسطس 2014 بانقلابه. فبالنسبة للعائلات، مثلت تلك اللحظة مستهل رحلة بحث مطولة تصوغها الحيرة والضبابية والمعلومات المتشرذمة والصمت المؤسسي. يتعقب هذا التقرير عملية البحث من ليلة حادثة غرق المركب، مروراً بشهادات الناجين والعائلات، عبر الحدود والبيروقراطيات، وصولاً إلى تساؤلات ظلت معلقة دون إجابات بعد أكثر من عقد من الزمن.

تعتبر الاستنتاجات المعروضة هنا ثمرة تحقيق أجرته العائلات في ظل قيود صارمة. ففي غياب سجلات رسمية شاملة، يستند هذا التقرير إلى شهادات من عائلات وناجين ومصادر معلومات عامة وتعامل محدود مع سلطات ومنظمات إنسانية وبحوث مباشرة أُجريت في بلدان عدة. كما تتفاوت هذه المصادر في شموليتها وموثوقيتها، بما يعكس الطبيعة غير الموثقة لهذه الرحلة وانعدام تنسيق الاستجابات المؤسسية. وحيثما وُجدت الشكوك، ننوه ونعترف بها بشفافية بدلاً من حلها بالتكهنات.

ما يبرز هنا ليس مجرد مأساة واحدة، بل يتعداها إلى نمط أوسع نطاقاً ما زال يرسم تجارب عائلات طالبي اللجوء المفقودين. جثث انتُشلت في بلدان متعددة وقبور بلا شواهد وانعدام آليات منسقة لتحديد الهوية؛ كلها عوامل تركت العائلات معلقة بين الأمل والحداد. وفي ظل غياب الحقيقة الرسمية، أُجبرت العائلات على أن تصبح المحقق وأمين الأرشيف والمناصر، حاملة أوزار الفقدان العاطفية بينما تبحر عبر أنظمة لم تُصمم لدعمها أصلاً.

إن ثمن غياب الخاتمة والطمأنينة باهظ للغاية. تعيش العائلات في حزن سرمدي وشعور بالذنب ومحنة نفسية شديدة، دون قدر كاف من الدعم في معظم الأحيان. صاغت حياتها اليومية تساؤلات بلا إجابة وتوتر متواصل بين الإيمان بأن أحد الأحبة مازال على قيد الحياة وتقبّل احتمالية موته دون دليل. وبمرور الزمن، يصبح هذا الشك شكلاً من أشكال الضرر بحد ذاته، يُعيد استنساخه الإهمال المنهجي والفشل بالتعامل مع المفقودين كأولوية تستوجب عملاً متواصلاً.

وعلاوة على ذلك، يوثق هذا التقرير صمود العائلات. فمن خلال التنظيم الجماعي، ترفض العائلات الاختفاء كنتيجة حتمية. تجسد مبادرات، كرابطة عائلات المفقودين على طريق اللجوء، جهوداً لاستعادة السيطرة والحفاظ على الذاكرة والإصرار على حق المعرفة. هذه الجهود ليست رمزية؛ وإنما استجابةً للفراغ الذي خلفته المؤسسات ومطالبةً بالكرامة والمساءلة والاعتراف.

هذا التقرير ليس نقطة النهاية، بل هو توثيقٌ لما تبذله العائلات في ظل غياب الأجوبة وتذكيرٌ بأن الاختفاء لا ينهي المسؤولية. سيظل المفقودون مفقودين لا بسبب البحر فحسب، بل لإخفاق الأنظمة في البحث عنهم وتحديد هوياتهم والتواصل من أجلهم. وإلى أن تُعالج أوجه القصور تلك، ستستمر الرحلة الموثقة هنا.

المساءلة والالتزامات القانونية

تثير الظروف المحيطة بغرق مركب زوارة وتداعياته مخاوف جدية تتعلق بوفاء الدول بالتزاماتها القانونية بموجب القانون البحري الدولي والقانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الإنساني. هذا وتتحمل إيطاليا وتونس وليبيا – كل من هذه الدول مرتبط بتلك الحادثة من خلال عمليات الإنقاذ أو الجثث المنتشلة أو المياه الإقليمية أو مواقع الدفن - مسؤوليات تتعدى لحظة غرق المركب بحد ذاته.

يقع على عاتق الدول واجب **تنسيق وإنقاذ** الأشخاص المعرضين للخطر في البحر. ويتضمن ذلك التدخل في الوقت المناسب والتنسيق الفعال بين السلطات البحرية وإيلاء الأولوية لإنقاذ الأرواح. وفي حال الاشتباه بالوفاة، لا ينتهي هذا الواجب بانتهاء عملية الإنقاذ. وتلتزم السلطات بالبحث عن الضحايا وانتشال الجثث قدر الإمكان، وضمان استخدام موارد الإنقاذ بكامل طاقتها[37].

كما تتحمل الدول **مسؤولية التحقيق** وتحديد هوية المتوفين وإشراك العائلات في جميع مراحل العملية. ويتضمن ذلك توثيق كامل المعلومات المتوفرة واتخاذ كافة الإجراءات الجنائية والطبية القانونية وإتاحة مشاركة عوائلهم وإخطار ذويهم فور تحديد هوياتهم وإعادة رفاتهم لعائلاتهم بطريقة تحفظ كرامتهم وتتوافق مع ممارساتهم الدينية والثقافية. يتسبب غياب اختبارات الحمض النووي واستخدام قبور بلا شواهد وعدم توفر سجلات يسهل الوصول إليها بتقويض هذه الالتزامات وحرمان العائلات من حقها بمعرفة الحقيقة[38].

يُعتبر **التعاون الفعال عبر الحدود** أمراً بالغ الأهمية في الحالات التي تتوزع فيها الجثث والأدلة والناجون عبر ولايات قضائية مختلفة. تبرهن حادثة غرق مركب زوارة أن ضعف آليات تبادل المعلومات وتشرذم الولايات المؤسسية يحولان دون تحقيق نتائج مجدية. فبدون التنسيق بين الدول والجهات العاملة في المجال الإنساني ومؤسسات الطب الشرعي، تبقى الجهود الرامية لتحديد الهويات جزئية وتُترك العائلات تتنقل وحيدة بين أنظمة مبهمة[39].

وأخيراً، تتحمل الدول مسؤولية إرساء **آليات واضحة ونقاط تواصل موحدة** لعائلات الأشخاص المفقودين. إن أنظمة المعلومات المركزية والإجراءات الشفافة والتواصل المستمر ليست تدابير اختيارية؛ إنما هي مكونات جوهرية في التزامات الدول بحماية كرامة الإنسان ومنع المعاناة المطولة[40].

لا يؤثر التقاعس عن الوفاء بهذه الالتزامات على الماضي فحسب، بل يرسم أيضاً حاضر ومستقبل العائلات التي تواصل البحث، كما يظهر فيما إذا كانت ستُعامل مآس مماثلة بمساءلة أم ستُترك لتتلاشى في غياهب النسيان. تستوجب معالجة إرث مركب زوارة الغارق أكثر من مجرد اعتراف؛ تتطلب تدابير ملموسة لضمان البحث عن المفقودين وتحديد هوياتهم وتخليد ذكراهم وعدم ترك عائلاتهم بمفردها عقب المأساة[41].

(37) https://euromedrights.org/wp-content/uploads/2025/08/250828_EN_MigrantsTraveling_EMR.pdf
(38) المرجع نفسه
(39) المرجع نفسه
(40) المرجع نفسه
(41) https://scm.bz/en/in-search-of-safetythe-syrians-missing-on-asylum-routes-en/

ملحق:

مكتب الادعاء العام (Procura della Repubblica)
لدى محكمة سيراكوزا (SIRACUSA)
المجموعة المشتركة لمكافحة الهجرة غير الشرعية
هاتف: 0931-752668 – فاكس: 0931-494412
البريد الإلكتروني: gicic.procura.siracusa@giustizia.it

سيراكوزا، 2015/11/05 رقم البروتوكول: Gicic 14/302

الموضوع: P.P. 9005/14 mod. 21 – تقرير خدمة بشأن الأنشطة المتعلقة بالتعرّف على الجثامين، حادث غرق بتاريخ 2014/08/24، وإنزال بتاريخ 2014/08/26 في الميناء التجاري بمدينة أوغوستا لعدد 352 من الناجين من الغرق و24 جثماناً.

==========

إلى الدكتور ماركو دي ماورو
وكيل النيابة العام المساعد
لدى المكتب

الموقّع أدناه المفتش الرئيسي للشرطة القضائية أنجيلو ميلازو، وبناءً على أمر الخدمة الصادر بتاريخ 2014/08/28 عن رئيس مجموعة G.I.C.I.C. نائب المفوض كارلو باريني، واستناداً إلى التفويضات الصادرة عن وكيل النيابة العام المساعد الدكتورة مارتينا بونفيليو (المرفقات 1 و2 و3)، يرفع لسيادتكم نتائج الأنشطة المنفّذة حتى تاريخه، موضحاً أنه من أصل 24 جثماناً، تم التعرّف على هوية 21 جثماناً من قبل أفراد من عائلاتهم.

وتبقى الجثامين الثلاثة التالية دون تحديد هوية:

شكر وتقدير

خالص الشكر إلى جميع من ساهم في إعداد هذا التقرير، من أعضاء رابطتنا، **رابطة عائلات المفقودين على طريق اللجوء**، وروابط الضحايا الشريكة، ونخصّ بالذكر **رابطة عائلات قيصر**، وشركاءنا في **ميثاق الحقيقة والعدالة**، إضافةً إلى المنظمات الشريكة والداعمة، وعلى **رأسها المركز السوري للإعلام وحرية التعبير**.

كما نعرب عن امتناننا لكل الصحفيين والباحثين والجهات التي زوّدتنا بالمعلومات والمصادر وأسهمت في إغناء هذا العمل.

AFOMAS

عائلات المفقودين
على طريق اللجوء

AFOMAS.ORG